**الشِّعر في صدر الإسلام (شعر الفُتوحات)**

**لقد كان ظُهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية حدثاً هاماً وانقلاباً جذرياً في حياة العرب من كل النّواحي (الاجتماعية والأدبية والدينية)، فانقلبت المقاييس وتبدّلت القيم وتغيّرت مُقوِّمات الحياة العربية، واختلفت الرؤى وتعدّدت الأفكار، وكان لا بُدّ لهذا الحدث العظيم أن يترك صداه القوي في الحياة الأدبية العامة، وفي الشِّعر خاصة، وهُنا نتساءل: كيف كان موقف الإسلام من الشِّعر؟**

**لقد كثُرت الآراء التي حول قضية الشِّعر وموقف الإسلام منه، ومعظمُها يؤكِّد أنّ الإسلام أسهم في تغيير معالم الشِّعر العربي وتغيير رؤية الناس إليه، وقد راجت مقولة أنّ الإسلام وقف موقفاً مُعادياً للشِّعر استناداً لقوله تعالى: "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ"[الشعراء:224-226]. غير أنّ الرّاجح في هذه الآيات القُرآنية أنّ المقصودين بالخطاب هُنا هُم الشُّعراء الذين كانوا يُحرِّضُون على الفتنة، ويدعون إلى المفاسد، ويخوضون في الباطل والعبثية، والذين تصدُّوا لدعوة الإسلام، هجاءً وهُزؤاً، ولهذا استثنى سُبحانه وتعالى بعض الشُّعراء الذين لا تصدق عليهم الآيات السّابقة بقوله بعدها:** "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ" **[الشعراء: 227].**

**وكان الرّسول –صلى الله عليه وسلّم- يميل إلى سماع الشِّعر الجيِّد، ويدعو إلى الصِّدق، والقول الطيِّب، ومع ذلك لا نُنكر أنّ الإسلام قد حدّ من سُلطة الشِّعر التي كانت تُهيمن على الحياة الجاهلية ردْحاً من الزّمن، فقد انشغل الناس عنه بتلاوة القُرآن الكريم والجِهاد في سبيل الله والدِّفاع عن الدّعوة الجديدة، ممّا تسبّب في قلّته وضُعفه في صدر الإسلام، وهذا ما ذهب إليه ابن سلام الجمحي بقوله: "فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشِّعر العربُ، وتشاغلوا بالجِهاد وغزو فارس والرُّوم، فلهت عن الشِّعر وروايته".**

**والرّأي نفسه نجده عند ابن خلدون، حين قال: "اعلم أنّ الشِّعر كان ديوان العرب فيه عُلومهم وأخبارهم وحكمهم، ثُمّ انصرفوا عنه أوّل الإسلام بما شغلهم من أمر الدِّين والنُّبُوّة والوحي، وما أدهشهم من أُسلوب القُرآن ونُظُمه، فأخرصوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في الشِّعر والنّثر زماناً".**

**وإلى جانب القُدماء، نجد أنّ المُحدثين والمُعاصرين منهم يذهبون في آرائهم مذهب القُدامى، فهذا جورجي زيدان يقول: "أكثر شُعراء الجاهلية من الفُرسان والأُمراء وأهل الحرب، وأكثر أشعارهم في الفخر والحماسة لما بين قبائلهم من التّنازُع، ومرجع ذلك كُلُّه إلى العصبية، كلّ قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها، فلمّا جاء الإسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية، لم تبق حاجة للشعر والشُّعراء، ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحُروب، بالجهاد لنشر الإسلام، بالأسفار، وقد أدهشهم أساليب القُرآن وأخذتهُم النبوّة، فانصرفت قرائحهم الشعرية إلى الخطابة، لحاجتهم إليها في استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد".**

**ولمّا كانت غاية الإسلام هُو بناء دولةٍ قوية في اقتصادها وسياستها، جديدة في بُعدها الاجتماعي والفكري، فلا بُدّ أن تكُون جديدةً أيضاً في بُعدها الفنِّي والأدبي، لذا أخضع الإسلام الشِّعر ليحمل قيماً جديدة ويُدافع عن مُثُلٍ مُستحدثةٍ غايتُها التّوحيد وأساسُها الأخلاق، ومنهجُها العمل الصالح لتحقيق الغاية المنشودة من وجود الإنسان في الكون، وغدا الشِّعر يرتكز على قيم الحق والخير أكثر من تركيزه على الجانب الفنِّي والجمالي.**

**كما عمل الإسلام على تنقيح مضامين الشِّعر من مُخلّفات رذائل الجاهلية، من هجاء فاحش، وغزل ماجن ودعوةٍ للتّناحُر والتّفاخُر، والخُروج من الأنانية إلى الإيثار، ومن الثّأر إلى التّسامُح والعفو، وعمل أيضاً على تجاوُز المخيال العربي القديم الذي يلتقي فيه الشِّعر بالسِّحر والكهانة، فإذا كان الشّاعر والسّاحر والكاهن –في التصوُّر الجاهلي- يلتقُون في عالم الجِن، فإنّ الإسلام قد خلق عالماً جديداً مُقابلاً له وهو عالم الملائكة، عالم الصّفاء والنّقاء، وحثّ الشُّعراء على حمل رسالةِ القُرآن والدِّفاع عنها والسّعي لنشرها، والعمل على إصلاح المُجتمع وحياة النّاس، فظهرت بذلك بعض الأغراض الجديدة، كالمدائح النّبوية ومدح الأنصار والحضّ على جهاد أعداء الإسلام، ورثاء شُهداء الإسلام في الغزوات، شعر وصف المعاقل والحُصون وآلات الحرب.**

**فمن المدح، نجد قول كعب بن زهير يمدح الأنصار، حيث يقول:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| من سرّه كرم الحياة فلا يزل |  | في مِقْنبٍ من صالحي الأنصار |
| الباذلين نُفوسهم لنبيِّهم |  | يوم الهِياج وسطْوةِ الجبّارِ |
| يتطهّرون كأنّه سنك لهُم |  | بدماءِ من علقوا من الكُفّارِ |

**وقوله في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلّم:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّ الرّسول لنورٌ يُستضاء به |  | مُهنّدٌ من سُيوف الله مسلولٌ |

**ومن شعر حسّان بن ثابت في المدح نجد قوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّ الذّوائب من فِهَرٍ وإِخوتِهِم |  | قد بيّنوا سُنناً للنّاسِ تُتّبعُ |
| يرضى بها كُلّ من كانت سريرته |  | تقوى الإله وبالأمر الذي شرعُوا |
| قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدُوّهُم |  | أو حاولوا النّفع في أشياعهم نفعوا |

**وقد أشاد الرّسول صلى الله عليه وسلّم بقول عبد الله بن رواحة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وفينا رسُولُ الله يتلو كِتابهُ |  | إذا انشقَّ معروفٌ من الصُّبح ساطِعُ |
| أرانا الهُدى بعد العَمى فقُلوبُنا |  | به مُوقِناتٌ أنّ ما قالَ واقِعُ |
| يبيتُ يُجافي جنبهُ عن فِراشِهِ |  | إذا استثقِلتِ بالكافِرينَ المضاجِعُ |

**وقد تأثّر الشُّعراء بأُسلوب القُرآن الكريم، وتجلّى ذلك في الكثر من أشعارهم، فنجِدُ الحصين بن الحمام يقول:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يوم تُسعَّرُ فيه الحُروبُ |  | لبِسْتُ إلى الرَّوْعِ سِرْبالَهَا |
| فلمْ يبقَ من ذاك إلاّ التُّقى |  | ونفسٌ تُعالج آجالَهَا |
| أُمورٌ من الله فوق السَّماءِ |  | مقاديرُهُ تنْزِلُ أَنْزَالَهَا |
| أعُوذ بربِّي من الخِزيَا |  | تِ يوم ترى النَّفْسُ أعْمَالَهَا |
| وخَفَّ الموازينُ بالكافرينَ |  | وزُلزِلتِ الأرضُ زِلْزالَهَا |

**ولم يقتصر تأثيرُ الإسلام على المضامين فقط، بل أثّر على الأساليب وطريقة التّعبير أيضاً.**

شعر الفتوحات: **ظهر هذا النوع من الشعر بعد خروج المسلمين للجهاد في سبيل اللّه في أطراف الجزيرة العربية أو خارجها ،وذلك في سبيل نشر الدين الإسلامي ، وكانوا في أثناء أسفارهم ينظمون القصائد الحماسية ويتغنون بانتصاراتهم ويفتخرون بشجاعتهم وإقبالهم،وأهم الأغراض التي تناولها الشعراء في شعر الفتوحات نجد: الحماسة ووصف البطولات، ومراثي الشهداء والحنين إلى الأوطان والحديث عن الغربة والشوق إلى الأهل والخلّان،وشكوى الجنود من الولاة والعمّال ، ووصف الحصون، ومن النماذج الشعرية،نجد قول قيس بن المكشوح المُرادي عقب قتله لرستم قائد الجيوش الفارسية في معركة القادسية:**

جلبتُ الخيلَ من صنعاء تَرْدي بكلّ مذجّــــج كاللّـــــــــــيث ســـــامي
إلى وادي القـــــرى فــــــــديارُ كلب إلى الــــيرموك فالــــــبلد الشامــــــــي
وجـــــــــئن القادسية بعــــــــــــــــــــد شهر مُســــــوّمة دوابــــــــــــــرها دَوَامــــــــــــــــي
فناهضنا هنــــــــــالك جمع كسرى وأبـــــــــــــــناء المـــــــــــــــــــرازبةِ الكِــــــــــرَام
فلما أن رأيت الخــــــــــــيل جَـــــالَت قصدت لموقف الملك الهُــــــــمَامِ
فأضرب رأســــــــــه فهوى صريعا بسيف أفـَـــــــــــــــــــــلَّ ولا كَهَــــــــــــــــــــامِ
وقد أبلى الإلــــــــــــــــــه هناك خيرا وفــــــــــــــعلُ الخيرِ عند الله نــَــــــــــامِي

**وقال حسّان بن ثابت في ذكر صراع الإسلام مع الرّوم:**

**تأوبَنِي ليلٌ بيـــــــــــــــــــثربَ أعـــــــــــسَرُ وهمٌّ ،إذا ما نوّمَ النّاسُ مُسْهــــــِرُ**

**رأيتُ خيارَ المـــــــــــؤمنينَ تَواردُوا شعوبَ وقد خُلّفْتُ فِيمن يُؤخَّــــــــرُ**

**فلا يُبْعِدنَّ اللّهُ قَتْلى تَــــــــــــــتَابَعُوا بِمُؤتة منهم ذو الجناحين جَعفَــــرُ**

**وزيد وعبد اللّه حين تــــــــــــتابعوا جميعا، وأسبـــاب المــــنيّة تخطـــــــــرُ**

غــداة َغدوا بالمؤمنينَ يَقُودهم إلى الموتِ مــــيمونُ النقيبة ِ أزهـــر

فطاعنَ حتى ماتَ غيرَ مُؤسّدٍ بمعـــــترك فيه الــــــــــقنا يتــــــــــــــــــــــكسّرُ

 ويذهب بعض الدارسين كالنعمان عبد المتعال القاضي في كتابه"شعر الفتوحات الإسلامية في صدرِ الإسلام إلى وصف الحروب من أجل الفتوحات الإسلامية بالملاحم حيث يقول:" التاريخ الحربي للمسلمين ،يبدأ بغزوات النبيّ(ص) وينحدر إلى حروب الفتوح في ديار فارس وأرض الروم ، وسائر الأقطار التي بلغ إليها المسلمون بسيوفهم ، فيمثل هذا التاريخ في زعمهم ملحمة ،تتكوّن من أجزاء ملحمية ، تصف المعارك وتوجيه العسكر، وثورة العدو واستجاشة العدّة، وترسم صورا للالتحام والكرّ والفرّ والاقبال والإدبارِ، والرمي بالنبل والحجر، والطعن بالسيف والرمح .. وتصوّر أيضا ما ينكشف القتال عنه من قهر أو ظفر،أو اندفاع الفائزين بالغنيمة والفخر، وانطواء الخاسرين على تضميد الجروح وإعداد الثأر."(والقول أخذه من شعر الحرب في أدب العرب،ص 17-18.)

ويشير النعمان إلى أنّه من العجب أنّ أمّة ناشئة كأمّة العرب ، كانت تتعاورها الفتن والاضطرابات من كلّ جانب أن تهدم إمبراطوريتين عظيمتين في مدى10 سنوات تشتمل على العراق والشام جميعا وتتخطاهما إلى فارس ومصر حتّى تبلغ حدود الصين من الشرق وتونس من الغرب وبحر قزوين من الشمال والسودان من الجنوب.